

لقاء الوزير بالأئمة والخطباء بالشرقية ٢٩-١-١٤٢٧هـ

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونية (١)

الشيخُ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، يحق الحق ويبطل الباطل، نشر هدايته، وأقام حجته، وأبان سبيله، وتركنا على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد..

أيها الإخوة الكرام أئمة وخطباء المساجد في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية أحييكم بأكرم تحية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
وإن هذه اللقاءات التي يكون الهدف منها التواصل ومعرفة ما لدى العاملين في المساجد من أئمة وخطباء أو من مسؤولين إداريين مدير الفرع أو وكيل أو وزير، أو من مشرفين على لجان تعمل لصالح منسوبي المساجد، إن هذه اللقاءات أراها مهمة أن تكون؛ لأن فيها تواصل محمود.
ومعلوم أن المسجد وما يتصل به من عمل = من شعائر الله جل وعلا، والله ﷻ أمر بتعظيم شعائره ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، والشعائر جمع شعيرة، وهي كما عرّفها أهل العلم: كل ما أشعر الله جل وعلا أو رسوله ﷺ بتعظيمه وتقديسه والتعبد به والتقرب إلى الله جل وعلا به.

وهذه تشمل أشياء كثيرة منها أمكنة، ومنها أزمدة، ومنها أوامر ونواهي، والمساجد وما يتصل بها من عمل لأداء العبادة من الأئمة والناس والخطابة لاشك أنها تحتاج إلى تعظيم ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [٣٢].

والتعظيم في كل شيء بحسبه، ومن التعظيم أن يكون هناك اهتمام برعاية الأمر الشرعي، وأن يُرفع الهوى أو الاجتهاد الذي لا يكون مستوعباً فيه الجهد المأذون به شرعاً في الناس كما هو مقرر في الأصول وعند أهل العلم؛ أن يرفع الاجتهاد عن ذلك فيما لم يستوعب فيه، وأن يوكل الاجتهاد فيمن يعلم ما فيه صالح ذلك، لهذا قرر أهل العلم أن الولايات تنقسم:

فهنالك ولاية عامة بشأن الإسلام والمسلمين في بلد ما، وهي لولي الأمر الأعظم، وهو المسؤول أمام الله جل وعلا -بحكم البيعة الشرعية- عن كل ما يكون تحت هذه الولاية من الأمور الدينية والأموال الدنيوية، وواجب ولي الأمر في الأمور الدينية والأموال الدنيوية أن يجتهد في ذلك غاية الجهد، في نفسه أو بمن يأمن قوله لمستشار في تخصصه أو عالم في مجاله أو ما أشبه ذلك.

وهناك ولاية أصغر من ذلك، ولي الأمر أناطها بجهات، إما أناطها بوزارة، أو أناطها بفئة، وهذه المسائل الإدارية في التفويض هذه الأمر فيها وارد، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة

والإرشاد جهة أنيط بها هذه الولاية بما هو أدنى من الولاية العامة في رعاية المسجد وأمر الأوقاف والدعوة والإرشاد وما يتصل بذلك.

وإذا كان الأمر هكذا، فإن هذه الولاية ولاية متوسطة في شأن المسجد.

وهناك ولاية أقل منها وأخص، وهي ولاية من يقوم على المسجد في اهتمام ومؤذن وخطيب وما أشبه ذلك.

ومن المقرر شرعا أن لكل أحد في ولايته من الأمر بحسبه، ولولي الأمر له الأمر العام، وكل ما يتصل به يدخل بولاياته، والجهة المسؤولة وهي الوزارة لها فيما يتصل بعملها، والإمام له فيما يتصل بمسجده.

ولذلك من المهم أن يقرّر في هذا أنه أحيانا يكون هناك اختلاف في النظر ما بين ولاية صغرى وأكبر منها، وهذا هو الذي يكون دائما في المساجد أو يكون كثيرا في بعض الاجتهادات التي تحصل في المساجد.

ومما هو معلوم لدى جميع الإخوة المشايخ الحاضرين أن إمام المسجد وخطيب المسجد هو بحسب ما يرى في الأمر اليومي في مسجده؛ لكن إذا كان هناك شيء أكبر من ذلك، فإذا جاءه توجيه أو أمر بشيء فإنه يجب عليه أن يكون ممثلا لذلك، يجب عليه شرعا، وذمته بريئة.

أحيانا يقول: لم أقتنع بهذا الأمر، كيف يقولون كذا؟ كيف يؤمر بمثل هذا؟ وهو لو تأمل أو استشار أو تشاور مع زملائه وإخوانه لوجد أن الأمر بعد التأمل أنه ما جاءه فيه مصلحة، وفيه موافقة الشرع إن شاء الله تعالى.

وهذا مما أحب أن ينبه عليه دائما بأن اجتهاد الإمام في مسجده قد يكون موافقا لما جاءه، وقد لا يكون، فإذا كان موافقا لما جاء الحمد لله الأمر واضح، وإذا كان غير موافق فليس له أن يعمل بشيء بما ليس له شرعا فيه؛ يعني أنه إذا جاءه من الجهة التي أنيط بها شرعا بحكم الولاية أن تهتم بذلك فإنه لا بد من رعايته، والاجتهاد مجزأ؛ ولذلك هنا ينبغي أن يُعتنى بمفهوم الشرع في ولاية الإمام أو الخطيب على مسجده.

هذا من المفاهيم الغائبة بعض الشيء، وقد يرى الإمام أنه له الحق في التصرف في مسجده كيف شاء، وليس الأمر كذلك.

مثلا: يأتي إمام وقد يرى من المصلحة أن يهدم جدارا ويوسع غرضا، ويبنى، ويعمل مضلات على نحو ما، يزرع خارج المسجد.. وأشباه ذلك.

تأتينا مشكلات كثيرة مشاكل ممن يقبل هذا الأمر وممن يقبله من الجماعة والسبب في ذلك أنه لم جماعة المسجد، أو أنه لم يرجع إلى الجهة التي بنت المسجد، أو إلى الوزارة في ذلك، وهذا يحدث كثير من الإشكالات، فهنا لا بد أن يعرف هذا له أهله وله اختصاصه لكن..

كذلك في بعض ما يتصل بالصلاة الفرائض الخمس، مثلا الاجتهاد في الوقت يمدّه كما يشاء؛

يجعل بين الأذان والإقامة نصف ساعة أو أكثر، البعض لا؛ قد يجعلها خمس دقائق. في بعض المواقع تكون المصلحة واضحة مثلا عند سوق أو عند مستشفى إلى آخره. ولكن الأمر ليس على شكل عام؛ بأن الإمام يتصرف في الوقت. الوقت لا يتصرف فيه الإمام الذي يتصرف فيه من له الاجتهاد أكبر من الإمام، ولذلك النبي ﷺ أشار لهذا الأمر حيث قال: «واجعل بين أذانك وإقامتك كقدر كذا..» الحديث. فهنا أيضا مسألة ضبط الوقت على الإمام أن يضبط الوقت، والناس يعرفون بعد الأذان بكذا، ولا يأخذ باجتهادات من لا يوكل إليه اجتهاد، خاصة في مسألة الفجر مثل ما أثير في الفترة الأخيرة بأن وقت الفجر متقدم، وأن بعض التقديم في الوقت. هذه مسألة شرعية منوطة بوقت الصلاة العبرة فيها بأهل الفتوى، وإذا وطنا أنفسنا في أنه لا ننازع الأمر أهله، في كل اختصاص، فإنه يحدث لنا بذلك: أولا موافقة الشرع. والأمر الثاني موافقة الحق. والذمة بريئة حتى ولو لم يوافق الأمر في نفسه الصواب؛ لأنه ليس الشأن موافقة الصواب في نفس الأمر، إنما الشأن الاتباع. ولذلك لما أوصى النبي ﷺ الصحابة الذين أرسلهم إلى بني قريضة قال لهم: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريضة» والقصة معروفة الجميع منهم من صلى في الوقت ومنهم من صلى بعد المغرب اعتبارا بالظاهر أو بالمعنى، ولم يعنف أحدا؛ لأنه قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع. وهذه مسألة مهمة في براءة الذمة، ومن تعظيم الشعائر أن نبرئ ذمتنا في المسجد، بأن لا يكون المسجد ميدان اجتهادات. وأنا أخشى أن يضعف العلم بعد زمن ويرث الناس كثرة الاجتهادات في المساجد. ومن أهم ما نورثه الناس الضبط؛ لأنه إذا انضبطت الأمور قلت مخالفة الشرع. أما إذا كثرت الاجتهادات فسوف يكون عندنا مدارس كثيرة، واجتهادات كثيرة في المساجد، وإذا كان خالف واحد في اجتهاده، وخالف آخر باجتهاده، فإن المسألة سوف تكون غير منضبطة وسوف يكون كل مسجد له حال. ومعلوم أن السنة إنما تقوى برعاية الاجتماع ونبذ الافتراق، كل ما كنا على اجتماع في أمر الولاية وأمر ما يأتي من جهة أهل الاختصاص كلما كان الأمر أقوى؛ حتى لو ظهر في بعض الأحيان فوات مصالح أو فوات بعض الأمور الشرعية؛ لكن المصلحة الشرعية الاجتماع تحتم أن نفوت المصلحة الدنيا لتحقيق المصلحة العليا، وأهل الشرع والاجتهاد كما أنه أيضا أهل العلم والحكمة في أن العاقل يختار خير الخيرين ويجتنب شر الشرين. الأمر الثاني اليوم الزمن يحتاج منا إلى إدراك كثير لما عليه الناس، وتفكير الناس قد أوضحت عدة

مرات أنه من المهم أن يضبط عند الناس جميعاً وعند أهل العلم والدعوة والإمام والخطيب أن يربط منهج التفكير بالتعامل مع الأمور، منهج التفكير، كيف تتعامل مع الأمور؟ كل علم له أصول، له قواعد، وله منهج.

والتفكير أيضاً له منهج يستقى من الآيات والأحاديث وكلام الأئمة والخلفاء وأهل العلم والحكماء وما أشبه ذلك.

فإذا اقتنص طالب العلم هذه الأمور قوي ضبط تفكيره في المسائل.

واليوم كما ترون الإمام والخطيب يعالج مشاكل جماعة مسجده، يتصل به، ربما أيضاً أدخلوه إلى بيوتهم ليحل مشكلاتهم، أو ربما أصلح بين أناس أيضاً هو ينظر إلى التأثيرات الخارجية الكثيرة التي تأتي على المجتمع من شهوات مفرطة ومن منكرات فاشية ومن قلة رغبة في الخير أو كثرة رغبة وغلو في بعض الأحيان، وضعف في العلم الشرعي، ويرى أشياء كثيرة تموت، كيف يتعامل مع ذلك؟

لا بد من ضبط لتفكيره، ولذلك من المهمات لطالب العلم خاصة الخطيب والإمام الذي يوجه الجماعة من المهمات أن يرعى كيف يفكر هو.

ومن المهمات التفكير - فيه مسائل كثيرة قد عرضت لها في محاضرة مستقلة^(١) - أن يربي نفسه دائماً على رعاية المآلات، فالشرع راعى المآلات، قاعدة سد الذرائع إنما جاءت رعاية للمآلات ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] رعاية للمآل؛ بل إن الاتباع والتوحيد والسنة والسلامة من الشهوات والبعد عن الهوى فهو رعاية للمآل في الآخرة وحسن العاقبة في الدنيا. ولذلك من ينظر فيما يأتي ويذر في ما هي بدايات الأمر وما هي مآلاته فإنه يوفق، أما إذا رآه مجرداً عن العاقبة، فإنه يؤتى، ولم يوفق للحكم الشرعي.

وأنتم تنظرون إلى ما حصل في الأمة من خمسين سنة إلى الآن، أو فيما هو أقرب من ذلك تنظرون أن رعاية المآلات عند الحكماء؛ عند أهل العلم والحكمة وعند أهل النظر، حتى أهل السياسة والحكم يختلفون في رعاية المصالح وفي تقدير المآلات، ولذلك كان طلاب العلم بخاصة والخطباء لابد أن ينظروا إلى ما ستؤول إليه الأمور التي سيتحدث عنها، أو التي سيعالجها.

وتعلمون القصة المشهورة عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه مرّ هو وجماعة من أصحابه يقوم من التتر وجددهم يشربون الخمر علانية، فأراد بعض أصحابه أن ينكر عليهم فقال لهم: لا، اتركوهم فإن شربهم للخمر أهون من أن يصحوا منها، فيعتدون على الأعراض أو يقتلون النفوس، هذا من رعاية مآل الإنكار حق وواجب؛ لكن هناك ما هو أولى بالرعاية وهو ما سيؤول إليه هذا الأمر.

وهكذا في الخطب، الخطب أحياناً يكون الخطيب يلقي كلاماً نعلم أن الخطيب لما عليه من علم ودراسة ومعرفة، هو يعلم حدود ما سيتهي إليه هو فيما خطب به؛ لكن المتلقي إذا لم يراع مآل ما

(١) وهي محاضرة «منهج التفكير» وهو لقاء مع أئمة وخطباء منطقة المدينة النبوية ١٤٢٤هـ.

سيؤول إليه ذهن المتلقي، فإنه يكون لم يرع حقيقة الواجب الشرعي في ذلك. لهذا قال النبي ﷺ فيما في الصحيح: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» لماذا؟ نهى أن يحدثوا بما لا يعرف لأجل مآل التكذيب، وهذا من المهمات في الشرع الكثيرة، والأدلة عليه كثيرة ما راعى الشرع فيه المآل في ذلك.

عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ دخل عليها وقال: لو لا أن قومك حديثو عهد بكفر لأمرت بهدم الكعبة فبنيتها على قواعد إبراهيم وجعلت لها بابين».

هذا هدم الكعبة في ذلك الوقت سيفسر تفسير سيئ من قبل الكفار؛ لأنهم ممن أولئك الذين كان عهدهم قريب من الكفر يعني أسلموا حديثا، ما استوعبوا الرسالة ولا استوعبوا الأمر، فترك هذا الأمر رعاية لأنهم حديثو عهد بكفر، أي أنهم أسلموا حديثا، فترك أمرا يرغب فيه، يرغب فيه نبي الإسلام، معلوم أن البناء السابق بنته قريش هم مشركون، فأراد أن يبنى بأيد تقية صالحة تبنيه بمال صالح ويجعله على قواعد إبراهيم، ولكن ترك ذلك من أجل مآل كان يحذر منه.

الخطيب فيما يريد أن يتحدث عنه ينظر في مآل ما سيؤول إليه. مثلا أحيانا نرغب أن نتحدث في موضوع أقص مضاجعنا وأتعب النفوس مما يحصل للمسلمين هنا وهناك، وما فيه شك أن الآن الذي يمارس ضد الإسلام والمسلمين لم يُشهد له من قبل مثيل من جهة التخطيط والإعداد والترتيب له والهجوم.

لكن مع ذلك فإن طالب العلم وصاحب العلم والحكمة لا يُخرجه هذا الأمر العظيم عن مقتضى الشرع، ولا ينسى أن نوحا عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ولم يحصل له كبير نتيجة، لكنه امتثل الأمر، والنبي -عليه الصلاة والسلام- محمد بن عبد الله -عليه الصلاة والسلام- مكث ثلاثا وعشرين سنة آمن معه أكثر من مائة ألف، نوح عليه السلام ألف سنة آمن معه قريب من ١٢ أو ١٣ أو ٧٠ حسب الروايات.

الشأن ليس هو شأن نتائج بقدر ما هو شأن اتباع، فإذا كان الأمر على وضوح في المنهج فإنه حينئذ يعطي الله جل وعلا الخير الكثير فيما يعمل به المرء وإن قل.

من الأمثلة أن يكون هناك خطبة يخطبها الخطيب عن واقع الجهاد، والحث عليه، وذكر بطولات، اليوم الناس تتشوف وترغب أن تسمع مثل هذا الحديث؛ لأن الجراحات كثيرة، والنفوس قد ملئت غيظا، ولكنه إذا تحدث فإنه سيحمس الناس ويرفع خاصة الشباب بالتوجه للجهاد، وهو لا مجال لذهاب المسلمين إلى ذلك، وإنما الأمر كما تعرفون لا مجال لذلك؛ بل علينا أنفسنا من أجل تحقيق المصالح العليا لهذه البلاد وللأمة.

إذا كان الأمر كذلك قد يأتي من يتحمس ويذهب، ويتحمس ويتأثر ويبحث عن أحد فيتصل ببعض الفئة الضالة ويدخلونه، خاصة الشبيبة الذين لا يعرفون الأمر في مبتداه ومنتهاه.

الخطيب الذي خطب هو يعرف أنه لا يحث الناس على السفر إلى شيء؛ لأنه هناك فتاوى في ذلك

الأمر، أو لأن ولي الأمر حدد ذلك، أو لأن المصالح كذا.. على اختلاف التعليقات في هذا. وأهل العلم لا يحثون الناس للذهاب، وإنما هو قد يقول الشيء فالتأثر، هنا مجال التأثير سيستثمر، من سيستثمره؟ هنا العبرة بالمآل، فلا بد أن ننظر إلى ذلك.

مثال آخر إذا تحدث أحد عن بعض ما يحدث في المجتمعات، أو ما ينشر في وسائل الإعلام، ليس كل أحد مطلع على ما ينشر، فلذلك ذكر الموضوع وعلاج الموضوع علاج المنكر بدون تحديد الجهة هو المصلحة؛ لأنه قد يغري بعض الناس بالذهاب إلى الجهة.

وقد سمعتُ كلمة من أحد المشايخ في غير هذه البلاد بأنه خطب خطيب عندهم مرة فقال أنه نشر في هذا الأسبوع -قصة قديمة لا أذكر من ثلاثين سنة- نشر في هذا الأسبوع في مجلة كذا وكذا مقالا اشتمل المقال على كذا وكذا، وفيه صورة لفلانة وهي عارية، وهي كذا، الناس تشوفوا أن يقتنوا هذه المطبوعة. هذا ليس من السبيل الصحيح، عليك أن تذكر الأمر المنكر؛ لكن تحديده في شخص أو في جهة أو في كذا، هذا خلاف المصلحة، إلا فيما ندر فيما يكون المصلحة فيه راجحة والمفسدة فيه ضعيفة.

مما يتصل أيضا بعملنا جميعا: الوزارة؛ الوزير، والوكيل، مدير الفرع، اللجان الاستشارية.. مع الأئمة والخطباء ليسوا في ميدان سجل، أو ميدان أمر ونهي وامتناع، الإمام والخطيب ليس موظفا بمعنى الموظف، هو يقوم بهذه العبادة الشرعية ويأخذ عليها رزقا أو مكافأة من بيت المال لسد حاجته وإعانتة للقيام بهذا الواجب الشرعي، وإذا كان الأمر كذلك فهو يقوم بعبادة، وعندنا ليس في مفهوم الموظف، في البلدان جميعا عندهم الإمام والمؤذن والخطيب موظف، يصدق عليه معنى الموظف.

نظام الدولة عندنا لم يدخل الأئمة والخطباء حتى في نظام الخدمة المدنية، على اعتبار الشرعي أنهم يقومون بعبادة، وأن الذي يقوم بعبادة لا يصلح أن يأخذ على العبادة أجرا، ولذلك الصلة فيما بين الوزارة وما بين منسوبي المساجد لا نريد أن تكون صلة أمر ونهي، صلة أوامر ومعاقبة عليها.

الذي ينبغي أن تكون الصلة هي صلة تفاوض، صلة تشاور، صلة تعاون، ومن لهم ولاية هو الأحق بالاجتهاد الأخير، فالنبي ﷺ لما بعث عليا وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «تطوعا ولا تختلفا» مع أن أحدهما أمير -أمير السفر-؛ ولكن قال لهما: «تطوعا ولا تختلفا».

فنحن نرغب أن تكون الصلة بيننا وبين الإخوة طلاب العلم والخطباء تطاوع وعدم اختلاف، إذا كان هناك اختلاف في الاجتهاد سيكون هناك وعي شرعي بمن له مآل الاجتهاد في المسألة، وذمة الإمام والخطيب بريئة، غير مخاطب شرعا ولا يلحقه إثم ولا يلحقه؛ بل إنه بالاتفاق والتطاول والطاعة يكون هناك له الأجر رعاية للمصالح العامة.

أحيانا نُجري شيئا باجتهاد يأتي بعض طلبة العلم ويبنون يكتبون كتابات رصينة يبينون أن هذا الأمر فيه كذا وكذا ويبنون مصالح أو يأتون مباشرة ويناقشون في ذلك فينظر الأمر من جهات عديدة فتركت أشياء، ممكن تستحضرون بعض هذه الأشياء، أو تبنى أشياء لدى هيئة كبار العلماء أو لدى ولاية الأمر فيما يحقق الشرع، العلاقة تحقيق السنة والشرع فيما يأتي فيه الناس.

لكن الصلة فيها ضعف، هذا نعترف به، وأقل ما يكون لقاء منسوبي المساجد بالمسؤولين، حتى على مستوى المحافظة تجد مدير الأوقاف والمساجد والدعوة - في محافظة ما - لم يلتق بكل الخطباء مع قلتهم يفترض أنه كل شهر يمر عليهم كلهم أو في مركزه يطلبهم؛ لأجل التواصل، لأنه مع عدم التواصل يكون شيء من الشكوك المتبادل، لا نرغب أن يكون يوما ما بين مسؤول من معه في جهات أن يكون تبادل عدم ثقة، لأن هذا ليس في مصلحة الديانة وليس في مصلحة القيام بالحق؛ بل الواجب التآزر وشد الهمة والتناصح.

الإمام والخطيب لا أظن أحدا يقول عنه، أو يقول عن نفسه: أنني كل ما أجريه هو الصواب؛ بل ربما يخطئ، وهذا كثير، يقول: فعلا أنا قلت شيئا ولم أصب فيه، لذلك هنا من التجربة التي واجهناها في الوزارة أن الخطأ أو المخالفات التي تحصل أكثر ما تكون؛ بل جل ما تكون عن طريق الحماس والاستعجال.

نقول: التواصل ما بين الإمام والخطيب والمسؤول هذا لا بد أن يكون مستمرا؛ حتى لا يكون هناك تداخل في الأفكار.

مثلا قد يأتي كما ذكرنا أن أكثر الأخطاء يكون سببها أو أكثر المخالفات يكون سببها الحماس والاستعجال، نحب أن نقف عند هذين الأمرين:

أما الحماس للدين، والغيرة على المحارم، والغيرة على الأمة؛ بل غيرة على دين الله وتوحيده وسنة النبي ﷺ، وغيرة على البلد والأمة بعامه، هذا لاشك أنه مما هو مطلوب شرعا، إما طلب إيجاب أو استحباب، بحسب الحال.

وقد يكون مآل هذا الشيء إلى حماس، هل كل من تحمس للحق يكون تحمسه للحق حقا؟ ليس كذلك، فالغاية لا تبرر الوسيلة، إذا كان مقصده صحيحا لا يعني أن وسيلته أو ما اتخذه صحيحا، يتحمس للحق ويغار عليه؛ ولكن لا يكون موفقا حتى ولو كان من عليه الناس ومن أفضل الناس.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان في صلح الحديبية جرى النقاش بين النبي ﷺ وبين المشركين في كتابة الكتاب، حتى إنه لما كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) قالوا: لا نعرفه، (من محمد رسول الله) قالوا: لو نعرف أنك رسول الله ما قاتلناك، فترك هذه وهذه، عمر رضي الله عنه غضب كيف نرضى بهذا الأمر؟ وقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نقبل الدنية في ديننا؟ رأى هذا دنية وأصابه قهر من أن يوافقهم النبي ﷺ على مطلوبهم؛ لكن من الذي يرعى المصلحة ويعلمها، حتى عمر ثاني رجل في الإسلام أبو بكر ثم عمر بعد النبي ﷺ؛ لكن من يرعى المصلحة؟ النبي -عليه الصلاة والسلام.

وهل هنا مقام تصرف النبي ﷺ هو في مقام النبوة أو في مقام الإمامة؟ هو في مقام الإمامة؛ لأنه هو المسؤول عن الحرب والمسؤول عن الصلح، ومن أنيط به إقامة الحرب والصلح هو منصب الإمامة وليس منصب النبوة؛ لأن النبوة مرتبطة بالوحي.

مثال آخر في قصة حاطب لما أسر بخبر النبي ﷺ لكفار قريش وأرسل بالرسالة المعروفة التي نزلت فيها سورة الممتحنة، وسأله النبي ﷺ جاء حاطب أنت فعلت كذا قال: نعم، قال: عمر دعني أضرب عنق هذا فإنه منافق، حاطب ممن شهد بدرا، والنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لم يلتفت إلى كلام عمر. والأمثلة لهذا كثيرة.

أسامة لما قتل رجلا قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» من جهة الحماس.

فإذن الحماس والغيرة أمر محمود وعبادة، العبد يؤجر على غيرته ولو لم يفعل شيئا، ويؤجر على ما يجيش في صدره من غيرة ومن حماس ولم يفعل شيئا، يؤجر على ذلك؛ بل إذا ذهب هذا من الناس فإن الإيمان قد ضعف.

لكن أثر هذا الحماس وهذه الغيرة يجب أن يكون موافقا للشرع، لذلك ليست نتيجة كل حماس أو تكون موافقة للصواب في نفس الأمر.

هذا يحتاج منكم إلى تأمل، ومزيد تأمل.

وأنا كنت خطيبا في نحو ١٦ أو ١٧ سنة، أحيانا الواحد يخطب والجميع يحس بذلك، تأثير من أثر الغيرة والحماس، ما يريد أن يقول أشياء من للتفريغ عن نفسه، هذا واقع نفسين ويرى أنه إذا قالها فإنه دفع عن الشرع، ودفع عن الأمة، ودفع عن الملة، وحقق مراد الله جل وعلا؛ لكن إذا تأمل فليس كل كلام يقال مما هو صواب أن يكون مآله صوابا، هذا من جهة الحماس.

من جهة الاستعجال، أيضا كثير ما نلاحظ على البعض كلمات أو مؤاخذات أو موضوع عرض له، فإذا ذكرنا للأخ الخطيب جزئ الله جميعا خيرا أو الداعية، ذكرنا له المسألة قال: فعلا الاستعجال؛ عجلة مني. وهذا طبيعي أنه يحصل في البشر، موسى عليه السلام ألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، ليس عيبا أن الواحد يستعجل ويخطئ؛ لكن لا بد أن لا تكثر هذه، يمرن نفسه على الضبط، وأنه يحصل منه مرة، يحصل منه شيء، غلبته نفسه، هذا أمر يحصل في الإنسان، لكن إذا مرن نفسه على الضبط وعلى رعاية ذلك، وأن يكتب ما يريد، إذا عرف من نفسه أنه يتحمس في الخطبة يكتب الخطبة ويدققها، فإذا خصل ودققها ولم يخرج عنها يكون قد تأمل.

وهنا مسألة مهمة في التحضير لخطبة الجمعة.

خطبة الجمعة أمر مهم للغاية، وعبادة شرعية، وطائفة من أهل العلم يقولون: إن صلاة الظهر قصرت؛ جعلت ثنتين لأجل الخطبة، ومع أن الصحيح أنها عبادة مستقلة.

والخطبة شأنها عظيم وليها النبي ﷺ في زمنه ولم يلها غيره -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ووليها أبو بكر ولم يلها غيره، ووليها عمر ولم يلها غيره في المدينة. ولم يكن في البلد إلا خطبة واحدة إلا مسجد واحد يجمع فيه.

ولذلك كانت لها شأن عظيم عند المتلقين؛ لأن الذي يؤم بهم ويخطب فيهم هو القدوة في زمنه.

لما كثرت الأمور أفتى أهل العلم بجواز تعدد الجمعة وكثرت المساجد وكثرت الخطب إلى آخره.

هذا فيه مصلحة للتيسير على الناس ولأداء العبادة؛ لكن يجب أن يبرئ الإمام الخطيب ذمته في الاستعداد الجيد للخطبة؛ لأنه يقوم مقام رسول الله ﷺ في الخطبة، وليست محاضرة.

دائماً نقول للإخوان: المحاضرات يكون فيها أخذ ورد، يكون فيها اجتهاد، الخطبة عبادة متعلقة بفرض الوقت، ليست أمراً سهلاً، فلا بد فيها من الالتزام بالسنة، الالتزام بالصواب، بما اتفق عليه، أحياناً الخطيب قد يكون عنده اجتهادات خاصة به، لا يعتنّف عليه فيما يراه في نفسه، أو فيما يراه في بيته، أو فيما يراه؛ لكن أن يخالف اجتهاد جماعة أهل العلم ومن له الحل والعقد في العلم في البلد، ويخالفهم ويذهب إلى اجتهاد نفسه، هذا فيه مخالفة لما يجب أن يكون عليه الناس.

لذلك فإنه مما ينبغي الحرص عليه الاستعداد الجيد للخطبة، كلما كنا أكثر استعداداً للخطبة كلما كان الانتفاع أكثر.

الأحداث التي حصلت من الفئة الضالة، ولا تزال تحدث، والذي حدث قبل عدة أيام لو حصل ما يريدون بتفجير المصفاة والعياذ بالله، يمكن مدينة كاملة تمحى نار كبيرة وغازات أو جزء كبير منها نفس بضرب هذا المكان ضرره ليس على الأمريكيان أو على الكفار، ضرره أول ما سيكون على أهل الإسلام؛ لأنه ضاعف وإضعاف لأهل الإسلام؛ بل إن الطفل سيصيبه الضرر في ذلك، حتى الطفل في أي مكان من المملكة سيصيبه ضرر من ذلك لو تم لهم ما أرادوا؛ لأن هذه رزق لكل مسلم يأتيه، كيف لو حصل تعطلت سنة لبنائها وووو إلى آخره، فإن الأمر كبير جداً لو تصورت مآلاته يكون كبير جداً.

ولذلك فيما فعلوا مضادة لكل مسلم صغيراً كان أو كبيراً ذكراً كان أو أنثى، عامل أو غير عامل، موظف في الدولة أو متقاعد.. كل أحد سيصيبه ضرر كبير جداً من ذلك ولو كان في البرية وحده. لهذا يجب أن نكون في هذا الأمر متفاعلين أكثر في حماية النشء الجديد من هذه الأفكار، واجب الخطيب بين حين وآخر.

أحياناً نعطيكم بعض التوجيهات بأن تناولوا هذا كما إن شاء الله تتناولون الموضوع بدقة، وآثاره في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى يوم الجمعة.. لكن هنا لابد من أن يكون الخطيب فاعلاً فيما يراه، يجدد على الناس، الأحداث هذه كثرت وكل مرة تحصل حادثة، وكل مرة تحصل حادثة، لا نريد أن الناس يسمعون دائماً نفس الخطبة، لا، لابد أن ينوه على الناس المبادئ والمآخذ والأصول الشرعية والقواعد، وأن ينمي الخطيب القدرة عند نفسه لصد مثل هذا الأمر؛ التكفير ومنهج التفجير وهذا المنهج الضال، وهذا من القربات العظيمة؛ لأنه في هذا السبيل يسلكون مسلك الخوارج، أعاذنا الله جل وعلا من سبيلهم.

لذلك لابد من رعاية لهذه المهمة - مهمة الإمامة، مهمة الخطابة - النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كان إمامهم وكان خطيباً، وهو إمام مارس الإمامة بصفته إمام مسجد، لما أراد أن يتأخر عن الصلاة أناب من يصلي، مرة تأخر عن الصلاة وأتى وهم يصلون فصلى معهم ثم أتم، فهو كان يمارس الإمامة بصفته إماماً للمسجد..

[مداخلات]

مداخلة:...

الشيخ: ما ذكره الأخ صحيح، لا يفهم من الكلام أنه هذا نقد وهذه الصورة، لا؛ ما أصاب فيه الأئمة هو الكثير، الأئمة عملهم عظيم جليل، نحن نتكلم على ظاهرة توجد رغبة في تحصيل الكمال في عملهم، لكن عملهم جليل جدا وعظيم، ويقومون بالواجب الشرعي خير قيام. والحمد لله تعالى أن هيا لنا ولهم أن نكون في هذا السبيل للأجر والثواب؛ لأنه من عمل في أمر المساجد مأجور، وكذلك من ساند بالإدارة أيضا مأجور.

فالواحد دائما بين أجر في ما يأتي وما يذر.

لكن أعمال الأئمة كثيرة، وشهادة شكر لجميع الحاضرين ومن لم يحضر في قيامهم بهذا الواجب الشرعي.

ولكن ذكر الاستثناء لأجل الحاجة إلى ذكره، ولكن ليس هو الأصل، هذا استثناء قليل نادر، قد يكون.

لذلك مثلا على سبيل الذكر والمثال، السنة الماضية سنة كاملة ١٤٢٦هـ الذي خالف المملكة العربية السعودية ليست مخالفات كبيرة حوالي ١٤٠ أو ١٤٢ خطيب، سنة كاملة، وبعضها أشياء بسيطة، مجرد تنبيه، وبعضها داخل أنه ذهب ولم ينوب أحدا، ملاحظات يسيرة. عندنا ١٤ ألف جامع في المملكة، يعني ١٤ ألف خطيب، ١٤٠ أو ١٤٢ يعني ١ في المائة. في سنة كاملة لا شيء.

فالخير هو الغالب، فالخير هو الكثير، وما يقوم به الأئمة عظيم وجدا، ولا نلتفت ولا نرضى بما يقوله بعض المرجفين في بعض المقالات بأن الأئمة يفعلون والخطباء يفعلون، هذا لا نرضاه، ولا نقر ذلك أبدا، ما يقومون به عمل جليل جدا؛ لكن اللقاء من طبيعته أن يكون بعض المناقشات الهادفة.

مداخلة:....

الشيخ: هذا لاشك أنه صحيح ومطلوب، وإن شاء الله يؤخذ به بإذن الله.

مداخلة:...

الشيخ: هو لا أتصور أن أحدا يرى مثل هذه الأحداث وهذا الانحراف العقدي ولا يحرك ساكنا، هذا ما أظنه فيه أحد يتجاهل مثل ذلك؛ بل الجميع متجاوب، ولدينا رصد ما فيه أحد تجاهل هذا الأمر؛ لأن هذا واجب شرعي، والأمر عظيم انحراف عقدي وانحراف عن الجماعة وخدمة للأعداء وأسباب كثيرة جدا.

والجميع نرجو منهم أن يكونوا في دقة فيما يقومون به أنفسهم وأيضا يحكمون به على الآخرين. لأننا لو نلاحظ أنه ليس في مجتمعنا -الوزارة أو طلبة العلم- فقط لا بل ظاهرة في عقل الناس في المجتمع بشكل عام، نحن يميل المجتمع إلى التغليب، إلى تغليب الشيء، نقول: غالبا كذا، ممكن مرة مرتين، ونرغب أن نعمم ونجعلها كبيرة، ما يصلح النبي ﷺ قال: «من قال: فسد الناس فهو أفسدُهم»

وفي ضبط «وهو أفسدهم»، و«من قال: هلك الناس، فهو أهلكهم» «وهو أهلككم» ليش؟ ما فيه أحد، هو السبب، إما هو منهم، إما أنه سعى في سبيل ذلك، إذا قال الواحد: والله الفساد منتشر، ما فيه خير، يشجع الناس، جالس مع الجماعة فيضعف الخير، وتقوى رغبة في غير ذلك لهذا أنا أرغب أولاً أن يكون هناك حرص في الدقة في الألفاظ والأمر الثاني أن يكون هناك حرص على مصلحة الناس في هذا الوطن، وفي هذه البلاد التي مآرز الإسلام ومصدر الدعوة ومصدر الخير، والتي ضاق منها الأعداء متمسكنا فيما بيننا وقوتنا والحفاظ على هذه البلاد، وما فيها من الخير، هذا متعين على الجميع.

مداخلة:...

الشيخ: إن شاء الله، هذا كلام طيب، وفعلاً الحاجة قائمة لذلك، ولدينا خطة واسعة في إعادة تقوية الخطباء والأئمة؛ في عقد دورات ولدينا معهد الأئمة والخطباء في مدينة الرياض، لم يكن تفعليه في السابق كما ينبغي، نتجه الآن إلى تقويته وأخذ مبنى جديد له، وكذلك فروع في كل مناطق المملكة المهمة ليكون هناك مناهج منضبطة، ودورات مركزة لرفع مستوى الخطيب، إذا كان هناك دورات، وما طلبه الأخ من وجود موضوعات ومساندة في موضوعات وكتب إلى آخره.

يحدث ولا عيب ترى موجود بعض المؤسسات الإبداع الخطابي تقيم دورات هذا فيها دورات للخطابة والإلقاء وتحضير كلمات، طيب أنه يلتحق بها ولو غير منتسبة يأتي بها شهادة؛ نرعى ذلك ويكون له فيها تقدير؛ لأن مقصود رفع المستوى يحصل إن شاء الله تعالى بسبل عديدة.

مداخلة:....

الجواب: لا شك أن لقاء المسؤول مطلوب، مطلوب حتى في المحافظة أو المنطقة يكون هناك لقاءات، قد يكون المسؤول في الموقع الإداري مما يشغل به يومياً، يستيقظ من النوم ما يدري إلا وهو جايه نوم،، يصعب عليه أن يدرك كثيراً من الواجبات؛ لكن مثل ما قال بعضهم.. وهذا هو المطلوب منكم، أن يكون طلب منكم تواصل مع مدير المحافظة، مع المسؤول، مع الوزير.

نتمنى لقاءات نستفيد منها أكثر؛ لأنها لقاء أخوة حركة وأسئلة ومداخلات، وكثير من الأسئلة التي جاءت هذه كلها سأقرأها ربما فيه أفكار فيها أشياء نستفيد منها.

وأنا أشكر الحقيقة عدداً من الإخوة يرسلوننا وهم يؤدون لنا حسنة كبيرة؛ لأنهم متمكنون، طلاب العلم، عندهم مقترحات، يؤخذ به وهو الأكثر، وبعضها لا يؤخذ به؛ لكن التواصل مع الوزارة، التواصل مع الفرع، هذا مطلوب؛ لأن المقترحات والآراء لا يحقرن من المعروف شيئاً، الكلمة إما أنها تكون فتح بابا يكون غافلاً عنه المسؤول، أو تكون معروفة وتأكد أو تكون غير مناسبة فلم يحرم أجر الاجتهاد.

نشكر للدكتور على ما ذكر، وما أراده في ذكر بعض المكافآت إن شاء الله يكون لها بحث خاص، ولو لا عندنا موعد في تحفيظ القرآن لاستمرينا في اللقاء.

أسأل الله جل وعلا للجميع التوفيق والسداد، ولا تنسوا أخاكم من خالص الدعاء له وللمسلمين وللخاصة والعامة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.